

٦- يُراعى تَفْيِيدُ القصاص بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ دَرَجَاتُ الْمُعْتَدِي وَالْمُعْتَدَى عَلَيْهِ. مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ يَشْكُو إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهُوَ مَشْغُولٌ، فَقَالَ لَهُ: "أَتَتُرُكُونَ الْخَلِيفَةَ حِينَ يَكُونُ فَارغاً، حَتَّى إِذَا شُغِلَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ أَتَيْتُمُوهُ وَضَرَبْتُهُ بِالدَّرَّةِ (العصا). فَرَجَعَ الرَّجُلُ حَزِينًا. فَتَذَكَّرَ عُمَرُ أَنَّهُ ظَلَمَهُ، فَدَعَا بِهِ، وَأَعْطَاهُ الدَّرَّةَ، وَقَالَ لَهُ: أَصْرِبْنِي كَمَا ضَرَبْنِي. فَأَبَى الرَّجُلُ وَقَالَ: تَرَكْتُ حَقًّي لِلَّهِ وَلَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: إِمَّا أَنْ تَشْرُكَهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، إِمَّا أَنْ تَأْخُذَ حَقَّكَ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: تَرَكْتُهُ لِلَّهِ. وَرَجَعَ عُمَرُ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: يَا أَبَنَ الْخَطَّابِ كُنْتَ وَضِيعًا فَرَفَعَكَ اللَّهُ، وَضَالَّا فَهَدَاكَ اللَّهُ، وَضَعِيفًا فَأَعْزَزَكَ اللَّهُ وَجَعَلَكَ خَلِيفَةً، فَأَتَى رَجُلٌ يَسْتَعِينُ بِكَ عَلَى دَفْعِ الظُّلْمِ فَظَلَمْتَهُ، مَا تَقُولُ لِرَبِّكَ غَدًا إِذَا أَتَيْتُهُ؟ وَظَلَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ حَتَّى أَشْفَقَ النَّاسَ عَلَيْهِ.

٧- وَمِنْ هَذَا الْمَثَلِ، تَرَى كَيْفَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا يُطَبِّقُونَ الْمُسَاوَةَ: وَهُلْ هُنَاكَ أَرْوَعُ مِنْ أَنْ يَتَأَلَّمَ عُمَرُ لِشَيْءٍ يَسِيرُ فَعْلَهُ، فَيَسْتَرْضِي الرَّجُلُ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الْقِصاصِ مِنْهُ، ثُمَّ يُؤْنَبَ نَفْسَهُ هَذَا التَّأْنِيبُ خَشِيَّةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى!

٨- وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ فِي حُطْبَتِهِ عِنْدَمَا وَلِيَ الْخِلَافَةَ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وُلِّيْتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ".

٩- تَحْقِيقُ الْمُسَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ عِنْدَ التَّقاضِيِّ، عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا فَرْقَ بَيْنَ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ، وَلَا بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَغَيْرِهِ، وَنَذَكَرُ لِذَلِكَ مِثَالَيْنِ:

١٠- أَوَّلَهُما: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ يَشْكُو عَلَيْهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَقَالَ عُمَرُ: قُمْ يَا أَبا الْحَسَنِ فاجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ. فَقَامَ مُتَائِلًا، وَجَلَسَ مَعَ خَصْمِهِ. وَتَكَلَّمَا، ثُمَّ حَكَمَ بَيْنَهُمَا عُمَرُ. وَحَرَجَ الرَّجُلُ فَالْتَّفَتَ عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ، وَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ قَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُكَ حِينَ أَمْرَتُكَ بِالجلوسِ مَعَ خَصْمِكَ؟ هَلْ كَرِهْتَ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَدْ كَيَّبْتَنِي بِحَضْرَةِ خَصْمِي، وَالْتَّكْنِيَّةُ ضَرَبَ مِنَ التَّكْرِيمِ. هَلَا قُلْتَ: قُمْ يَا عَلِيُّ فاجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ؟ فَقَبَّلَهُ عُمَرُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ.

١١- ثَانِيَهُما: مَا فَعَلَهُ عُمَرُ مِنَ القصاصِ مِنْ وَلَدِ عَمْرُو بْنِ العاصِ - وَكَانَ أَبُوهُ أَمِيرَ مَصْرَ - للْمَصْرِيِّ الَّذِي شَكَاهُ، ثُمَّ تَأْنِيبَهُ لِعَمْرُو إِذَا اعْتَدَى أَبْنَهُ، مُعْتَمِدًا عَلَى سُلْطَانِ أَبِيهِ بِكَلْمَتِهِ الْمَشْهُورَةِ: «يَا عَمْرُو مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا؟

هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ يَدْعُ إِلَى الْمُسَاوَةِ وَالْعَدْلَةِ فِي الْمُعَالَمَةِ. وَهُوَلَاءِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ يُطَبِّقُونَ مَبَادِئَهُ، مُخْلِصِينَ، فَنَعِمْ بِهَا أَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ، وَإِنْ اخْتَلَفَ أَوْلَانُهُمْ وَآخِسِنُهُمْ وَأَوْطَانُهُمْ.

الوَحْدَةُ الْعَاشِرَةُ  
الرّفقُ بِالْحَيَوانِ



## ما قبل القراءة:

- ١- عِنْدَمَا تَقْرَأُ عُنوانًا مِثْلَ «الرُّفْقُ بِالْحَيَوانِ». مَا أَوْلُ سُؤَالٍ يَتَبَادرُ إِلَى ذِهْنِكَ؟
- ٢- مَا الْحَيَواناتُ الْمَقصُودَةُ هُنَّا؟
- ٣- مَاذَا تَتَوقَّعُ أَنْ تَجِدَ فِي هَذَا النَّصِّ؟
- ٤- هَلْ تَعْرِفُ قِصَّةً أَوْ حَدِيثًا عَنِ الرُّفْقِ بِالْحَيَوانِ فِي الْإِسْلَامِ؟ اذْكُرْهُ.
- ٥- مَا رأَيْكَ فِي أُمَّةٍ تُبَالِغُ فِي الرُّفْقِ بِالْحَيَوانِ، وَلَا نَهْمُ بِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ؟
- ٦- مَا رأَيْكَ فِي:
  - أ- مُصَارَعَةِ الْثِيرَانِ؟
  - ب- مُصَارَعَةِ الدُّبُولِ؟
  - ج- مُصَارَعَةِ الْجِمَالِ؟
  - د- اتِّخَادِ الْحَيَوانِ هَدَفًا لِلْعِبِيرِ؟

## الرُّفْقُ بِالْحَيَوانِ

١- إِنَّ عَالَمَ الْحَيَوانَ كَعَالَمِ الْإِنْسَانِ، لَهُ خَصَائِصُهُ وَطَبَائِعُهُ وَشُعُورُهُ الْمُشَابِهُ - فِي أَحْوَالِ كَثِيرَةٍ - لِلْإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أَمْمٌ أَمْتَالُكُمْ﴾. كَمَا أَنَّ رَحْمَةَ الْإِنْسَانِ لِلْحَيَوانِ قَدْ تُدْخِلُ صَاحِبَهَا الْجَنَّةَ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلَّبُ يَلْهُثُ (يَاكُلُ الشَّرَّى مِنَ الْعَطَشِ) فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي؛ فَنَزَلَ الْبَئْرُ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا فَقَالَ: نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتٍ كَيْدِ رَطْبَةٍ أَجْرُّ". كَمَا أَنَّ الْقَسْوَةَ عَلَى الْحَيَوانِ تُدْخِلُ النَّارَ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: "دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ".

٢- وَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ - تَعَالَى - كَثِيرًا مِنَ الْحَيَوانَاتِ لِخِدْمَةِ الْإِنْسَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيْخُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْرِهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبَيْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةٌ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وَجَاءَ الْأَمْرُ بِالرُّفْقِ بِالْحَيَوانِ، وَالنَّهُيُّ عَنِ إِرْهَاقِهِ؛ وَلِذَا فَقَدْ نَهَى الْإِنْسَانُ عَنِ الْبَقَاءِ طَوِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْحَيَوانِ وَهُوَ وَاقِفٌ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: "إِيَّاكُمْ أَنْ تَسْخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ"، وَنَهَى عَنْ تَحْمِيلِهِ أَكْثَرِ مِمَّا يَسْتَطِيعُ. وَوَضَعَتِ الشَّرِيعَةُ حُقُوقًا لِلْحَيَوانِ، فِي حَقِّ مَنْ اسْتَأْجَرَهُ لِلْحَمْلِ أَوْ لِلرُّكُوبِ فَحَمَلَهُ أَكْثَرِ مِمَّا يَسْتَطِيعُ، فَالْزَمَهُ بِضَمَانِ ثَمَنِهِ لِمَالِكِهِ. وَلَا تُسَاقُ الْحَيَوانَاتُ سَوْقًا شَدِيدًا تَحْتَ الْأَحْمَالِ، وَلَا تُضْرِبُ ضَرِيًّا قَوِيًّا، وَلَا تَوَقَّفُ فِي السَّاحَاتِ الْعَامَّةِ وَعَلَى ظُهُورِهَا أَحْمَالُهَا.

٣- وَتَهَى الشَّرِيعَةُ عَنْ إِرْهَاقِ الْحَيَوانِ بِالْعَمَلِ فَوْقَ مَا يَسْتَطِيْعُ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أَحْدَثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ. وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِطًا نَحْلًا. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلُ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَدَرَقَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ. قَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلَ؟ مَنْ هَذَا الْجَمَلَ؟ فَجَاءَ فَتَّى مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: أَفَلَا تَتَقَبَّلِي اللَّهُ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنِّي تُجْعِيْهُ وَتُؤْذِيْهُ» (تُعْبِيْهُ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ). كَمَا تُحرِّمُ الشَّرِيعَةُ أَنْ يُلْعَبَ بِالْحَيَوانِ. قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَقْتُلُ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقُهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَيْلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: «حَقُّهَا أَنْ يَذْبَحَهَا فِي أَكْلَهَا، وَلَا يَقْطَعَ رَأْسَهَا فَيَرْمِيَ بِهِ»، وَتُحرِّمُ اتِّخَادُهُ هَدَفًا لِتَعْلِيمِ الْإِصَابَةِ؛ فَقَدْ مَرَّ أَبْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةً مِنْ نَبِيلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا أَبْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ أَبْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لِعَنِ اللَّهِ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا» (أَيْ هَدَفًا). وَتَهَى الشَّرِيعَةُ عَنْ وَسْمِ الْحَيَوانَاتِ فِي وُجُوهِهَا بِالْكَيْ بِالنَّارِ، فَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارًا قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: «لَعَنِ اللَّهِ الَّذِي وَسَمَهُ».

٤- أَمَّا إِذَا كَانَ الْحَيَوانُ مِمَّا يُؤْكَلُ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ يَهُ أَنْ تُحَدَّ السِّكِينُ، وَيُسَقَّى الْمَاءُ، وَيُرَاخَ بَعْدَ الدَّبْحِ قَبْلَ السَّلْخِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلِيُجَدِّدَ أَحَدُكُمْ شَفَرَتَهُ فَلَيُرِخُ ذَبِيْحَتَهُ». بَلْ إِنَّ إِضْجَاعَ الْحَيَوانِ لِلَّدَبْحِ قَبْلَ إِحْدَادِ السِّكِينِ قَسْوَةً لَا تَجُوزُ، فَقَدْ أَضْجَعَ رَجُلٌ شَاةً لِلَّدَبْحِ وَهُوَ يُجَدِّدُ شَفَرَتَهُ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ؟ هَلَا أَحَدَدْتَ شَفَرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا». وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا قَرْخَانَ فَأَخَذْنَا فَرَحِيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةَ فَجَعَلَتْ تَفَرِّشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا. وَرَأَى قَرِيْةً نَمْلَ قَدْ حَرَقْنَاها، فَقَالَ: مَنْ حَرَقَ هَذِهِ؟ قُنْا: نَحْنُ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ».

٥- وَأَمَّا الْمُؤَسَّسَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ، فَقَدْ كَانَ لِلْحَيَوانِ مِنْهَا نَصِيبٌ كَبِيرٌ. وَحَسِبُنَا أَنْ نَجِدَ فِي ثَبَتِ الْأَوْقَافِ الْقَدِيمَةِ أَوْقَافًا خَاصَّةً لِعِلاجِ الْحَيَوانَاتِ الْمَرِيضَةِ، وَأَوْقَافًا لِرَعْيِ الْحَيَوانَاتِ الْعَاجِزَةِ. وَلَعَلَّ أَصْدَقَ مِثَالَ عَلَى الرُّفْقِ بِالْحَيَوانِ فِي ظِلِّ حَضَارَتِنَا، أَنْ نَرَى صَحَابِيًّا جَلِيلًا كَأَبِي الدَّرَداءِ يَكُونُ لَهُ بَعِيرٌ فَيَقُولُ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ: «يَا أَيُّهَا الْبَعِيرُ لَا تُخَاصِمُنِي إِلَيْ رَبِّكَ؛ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَحْمَلُكَ فَوقَ طَاقَتِكَ»، وَأَنَّ صَحَابِيًّا كَعَدِيًّا بْنَ حَاتِمَ كَانَ يُقَدِّمُ الْخُبْزَ لِلنَّمْلِ وَيَقُولُ: «إِنَّهُنَّ جَارَاتُ لَنَا وَلَهُنَّ عَلَيْنَا حَقٌّ» . وَأَنَّ إِمامًا كَبِيرًا كَأَبِي إِسْحَاقِ الشَّيْرَازِيِّ كَانَ يَمْشِي فِي طَرِيقِ مَعْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَمَرَّ بِهِ كُلُّ فَرَّاجَرَةٍ أَحَدُ أَصْحَابِهِ فَنَهَاهُ الشَّيْخُ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَا وَبَيْنُهُ» .